



الاستفهام في القرآن "مقاربة تداولية"

Interrogation in the Qur'an: A Pragmatic Approach

د. خالد إبراهيم علي حسين

جامعة طرابلس - كلية الآداب واللغات - ليبيا

kalidhossen@gmail.com

معلومات المقال	الملخص
تاريخ الارسال: 2024/12/05 تاريخ القبول: 2024/12/17 <u>الكلمات المفتاحية:</u> الاستفهام – الاستعلام – الأغراض التداولية – الاستفهام الحقيقي .	الاستفهام من أكثر الأساليب استعمالاً في الخطاب؛ فالحياة جملة من الاستفهامات التي نحاول الإجابة عنها، والاستفهام في الحقيقة هو طلب الاستخبار والفهم عن شيء غير معلوم، ولكن قد يخرج عن الاستخبار إلى أغراض أخرى وفق متطلبات السياق وهو ما يسمى بالأغراض التداولية، وهذا البحث جاء ليسلط الضوء على الأغراض التداولية للاستفهام في القرآن الكريم متخذاً من القرآن الكريم أنموذجاً للتطبيق، وقد جاء في مقدمة ومبحثين حيث كان المبحث الأول يتحدث عن مفاهيم البحث، والمبحث الثاني جاء للحديث عن الأغراض التداولية للاستفهام مذيلاً بأهم النتائج التي توصل إليها الباحث.
Article info	Abstract
Received 05/12/2024 Accepted	The interrogative style is one of the techniques rarely absent from discourse, as life is a series of questions that we seek answers to. In fact, interrogation is a request for

information and understanding about something unknown. However, it may extend beyond mere inquiry to serve other purposes depending on the demands of the context, which is referred to as pragmatic purposes. This research aims to shed light on the pragmatic purposes of interrogation in the Qur'an, using the Qur'an as a model for application. The research is divided the first section discusses the research concepts, while the second section explores the pragmatic purposes of interrogation, concluding with the key findings of the researcher.

202417/12/

Keywords: Interrogation – Pragmatic Purposes – True Interrogation.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

و بعد

فقد كان أسلوب الاستفهام من أبرز الأساليب في القرآن الكريم، والأصل في الاستفهام أن يكون ممن يجهل المستفهم عنه، ويريد المُخاطب إعلامه به، وهذا هو الاستفهام الحقيقي، والاستفهام يحمل دلالات مختلفة؛ ولهذا جاء اختياري لموضوع هذا البحث بعنوان: (الاستفهام في القرآن) "مقاربة تداولية" حيث تميزت هذه الدراسة بتتبع أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم وبيان معاني الاستفهام في آياته. كما اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بوصف الظاهرة اللغوية وتحليلها.

2. المبحث الأول:

1.2 تعريف الاستفهام والاستعلام في اللغة والاصطلاح:

تعريف الاستفهام في اللغة:

عَرَفَهُ ابن منظور: "الْفَهْمُ: معرفتك الشيء بالقلب. فَهِمَهُ فَهْمًا وَفَهْمًا وفهامة علمه الأخيرة عن سيبويه وفهمت الشيء: عقلته وعرفته. وفهمت فلانا وأفهمته"¹.

"واستفهم من فلان عن الأمر طلب منه أن يكشف عنه، ليحسن صورته"².

¹ - ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط 3، ج 12/ ص 259.

² - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مصر، د.ط، ص 20.

وفي المعجم الوسيط "(استفهمه) سَأَلَهُ أَنْ يَفْهَمَهُ وَيُقَالُ اسْتَفْهَمَ مِنْ فَلَانٍ عَنِ الْأَمْرِ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ (الْفَهْم) ¹".

تعريف الاستفهام في الاصطلاح:

عرّفه عوني حامد فقال: "طلب العلم بشيء بواسطة أداة من أدواته" ². وعُرف أيضاً بأنه: "طلب الفهم، والفهم هو: حصول الشيء في الذهن بعد أن لم يكن، وهو من الأساليب الإنشائية التي يكثر ورودها في الكلام البلاغي، وفي المحادثة اليومية عند جميع الناس، والسين والتاء فيه للطلب فيقال: استفهم فلان عن كذا، أي: طلب الإخبار عنه" ³. "الأصل في الاستفهام أن يكون ممن يجهل المستفهم عنه ويريد من المُخاطب إعلامه به، ويسمى الاستفهام الحقيقي، فإذا كان المستفهم (اسم فاعل) عالماً بما استفهم عنه سعى الاستفهام مجازياً، ويقصد منه حينئذ معانٍ بلاغية أو تداولية لغرض يقصده المستفهم" ⁴.

تعريف الاستعلام لغةً:

عرّفه ابن منظور: "وَيُقَالُ: اسْتَعْلِمَ لِي خَبَرُ فَلَانٍ وَأَعْلَمْنِيهِ حَتَّى أَعْلَمَهُ، وَاسْتَعْلَمَنِي الْخَبَرَ فَأَعْلَمْتُهُ إِيَّاهُ. وَعَلِمَ الْأَمْرَ وَتَعْلَمَهُ: أَتَقْنَهُ. وَقَالَ يَعْقُوبُ: إِذَا قِيلَ لَكَ اعْلَمْ كَذَا قُلْتَ قَدْ عَلِمْتُ، وَإِذَا قِيلَ لَكَ تَعْلَمْ لَمْ تَقُلْ قَدْ تَعْلَمْتُ" ⁵.

تعريف الاستعلام اصطلاحاً:

عرّفه العلوي بأنه: "وهو طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام به، فقولنا طلب المراد عام فيه وفي الأمر، وقولنا على جهة الاستعلام يخرج منه الأمر؛ فإنه طلب المراد على جهة التحصيل والإيجاد" ⁶.

2.2 الفرق بين الاستفهام والاستعلام:

في شرح المفصل: "الاستفهام والاستعلام والاستخبار بمعنى واحد. فالاستفهام: مصدر (استفهمت)، أي: طلبتُ الفَهْمَ، وهذه السينُ تفيد الطلبَ، وكذلك الاستعلامُ والاستخبارُ مصدران (استعلمتُ) و(استخبرتُ). ولمّا كان الاستفهامُ معنى من المعاني؛ لم يكن بدُّ من أدواتٍ تدل عليه" ⁷.

¹ - أحمد مختار عمر وآخرون، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، د.ط، ج2/ ص 704.

² - عوني، حامد، د.ت، المنهاج الواضح للبلاغة، مصر، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، ج2/ ص 95.

³ - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، ص 20.

⁴ - المرجع السابق، ص 20.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، ج12/ ص 418.

⁶ - العلوي، يحيى بن حمزة، (2002م)، الطراز، تح: عبد الحميد هنداي، المكتبة العصرية، ط 1، ج3/ ص 158.

⁷ - ابن يعيش، علي ابن يعيش، (1422هـ)، شرح المفصل للزمخشري، بيروت، دار الكتب العلمية، ج5/ ص 99.

وذكره الكفوي بقوله: "الاستعلام: كل استعلام استِفْهَام بِلَا عَكْس؛ لِأَنَّ الاستعلام طلب العلم وَهُوَ أَخص من الإِسْتِفْهَام، إِذْ لَيْسَ كل مَا يفهم يعلم"¹.

أدوات الاستفهام:

للاستفهام أدوات تستخدم في بداية الجملة الاستفهامية وهي قسمان:²

1- حروف الاستفهام: (الهمزة، هل).

2 – أسماء الاستفهام: (ما، من، أين، كيف، أنى، كم، متى، أيان، أي).

معاني واستخدامات أدوات الاستفهام:

1. حرفا الاستفهام:

أ- الهمزة : يطلب الاستفهام بها لتعيين شيء من بين شيئين، أو للاستفهام عن مضمون الجملة سواء كانت منفية أو مثبتة.

ب- هل: حرف استفهام يطلب به معرفة مضمون الجملة المثبتة.

وقد تستخدم في غير الاستفهام بمعانٍ أخرى كالنفي أو بمعنى قد.

2. أسماء الاستفهام³: كلها يطلب بها التصور.

أ- من: اسم يستفهم به عن العاقل.

ب- ما: اسم يستفهم به عن غير العاقل.

ج- متى: اسم يستفهم به عن الزمان المطلق.

د- أيان: اسم يستفهم به عن الزمان المستقبل.

هـ- أين: اسم يستفهم به عن المكان.

و- كيف: اسم يستفهم به لتعيين الحال.

ز- أنى: اسم يستفهم به عن المكان والزمان ولتعيين الحال.

¹ - الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تج: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص 83.

² - الهاشي، أحمد بن إبراهيم، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، بيروت، المكتبة العصرية، ص 81.

³ - مناهج جامعة المدينة العالمية، البلاغة والمعاني، كود، ص، 382، LARB4103.

ح- كيف: اسم يستفهم به كناية عن العدد.

ط- أي: اسم يستفهم به للعاقل ولغير العاقل.

الاستفهام الحقيقي: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا، ولا بد له من جواب¹.

يعد السؤال عمود النشاط اللغوي، وهو الذي شكل اللغة؛ فلا يمكن أن نتصور اللغة من غير

سؤال، فمن خلال الاستفهام كون الإنسان علاقاته بمحيطة².

الاستفهام البلاغي: هو الذي لا يتطلب جواباً إذ تكون المعرفة حاصلة لديه غير مجهولة وإنّما يحمل من المشاعر أغراض عديدة³ وهي كالاتي: التشويق والإنكار والنفي والتمني والتقرير والتهكم والسخرية والتعجب والتعظيم والاستبعاد والحسرة والتسوية، والاستفهام يخرج عن الاستخبار إلى أغراض أخرى وفق متطلبات السياق، فأحياناً نجد أحد الأطراف يثير تساؤلاً لا يريد منه طلب الفهم، وإنما يريد غرضاً آخر يكشف عنه السياق، وهو ما يسمى بالتداولي⁴، يؤكد هذا الكلام ما قاله ديكرو، وأنسكرو بقولهما: "إن الغاية من الاستفهام تتمثل في أن نفرض على المُخاطب به إجابة محدودة يملها المقتضى الناشئ عن الاستفهام، فيتم توجيه دفة الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد، فالاستفهام يأتي في الكلام لإجبار المُخاطب على الإجابة وفق ما يرسمه له البعد الاستفهامي الاقتضائي"⁵ ولذلك يجب على المتلقي ألا يقوم بقراءة حرفية للملفوظ، بل عليه أن يفهم غرض المرسل تداولياً وهو ما أكدّه سمير استيتيه عند تفريقه بين مفهوم الاستفهام الدلالي ومفهومه التركيبي معللاً هذا التفريق بقوله: "وذلك من أجل إبراز حقيقته التركيبية التي تلتبس بحقيقته الدلالية"⁶، يتبين لنا أن الغرض من أسلوب الاستفهام يتضح من خلال السياق، وكذلك في الأدب، للحالة النفسية للأديب دور كبير⁷.

3. المبحث الثاني:

1.3 الأغراض التداولية للاستفهام:

¹ - ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، ط 15، ج 4/ ص 357.

² - ينظر: بن فضة، فريدة، (2015م)، الاستفهام عند السكاكي دراسة تداولية، مجلة الممارسات اللغوية، العدد 32، جامعة مولودي معمري، تيزي وزو، الجزائر.

³ - ينظر: عبد الحميد، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، (1429هـ)، ج 1/ ص 243.

⁴ - ينظر: عمران، رضوان عبد الكريم، لغة الحديث النبوي وفق استراتيجيات الخطاب، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، (2016م)، ص78.

⁵ - نقلا عن علوي، حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديثة، (2010م)، ص 66.

⁶ - استتبية، سمير شريف، الشرط والاستفهام في أساليب العربية، الناشر سمير شريف، إريد الأردن، (2000م)، ص 98.

⁷ - ينظر، بوعزة، فتحية، وبوعزة هاجر، الاستفهام في القرآن الكريم، بحث لسانس، جامعة مولاي سعيدة، كلية الآداب واللغات، (2018م)، ص 9-

يعد المعنى الأصلي للاستفهام هو طلب العلم بشيء من المُخاطب؛ وذلك بتحريك الذهن عند إفادة الاستفهام لتلك المعاني البلاغية، وقد خرجت أدوات الاستفهام عن معانيها الحقيقية إلى معاني أخرى تتضح من سياق الكلام والقرائن، أو من خلال الموقف الذي يقال فيه، وهو ما يسمى بالتداولي، ولقد تنبه العلماء العرب قديماً إلى أغراض الاستفهام، وذكروها في كتبهم فتناولوها النحاة، مثل سيبويه في باب ما جرى من الأسماء بقوله: "أتميمياً مرة وقيسياً أخرى...فهو عندك في هذه الحالة في تلون وتنقل،... ولكنه وبخه بذلك"¹ كما ذكر الفراء بعض استعمالات الاستفهام التي منها: "الإخبار والتعظيم والتوبيخ"² وقد ذكر ابن فارس أن الاستفهام نوعان: حقيقي ومجازي، فالمجازي عنده: هو ما خرج عن الأصول اللغوية إلى معان مجازية، وهي كثيرة أوصلها إلى خمسة عشر³ وأما السيوطي فقد أورد للاستفهام اثنين وثلاثين غرضاً⁴ وهذه المعاني التي تحتملها ألفاظ الاستفهام تتعدد إلى عدة أغراض وهي:

1- الأمر:

قد يخرج الاستفهام عن المعنى الحقيقي ليدل على معنى الأمر؛ وهذا المعنى غير حقيقي، وأمر المُخاطب إلى أمر من الأمور⁵؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: 14] أي: أسلموا، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: 91] أي: انتهوا. قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلِّمْتُمْ﴾ [آل عمران: من الآية: 20] أي: أسلموا. وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي فَنَّ الْمَعَانِي أَنَّ فِي الْمَعَانِي الَّتِي تُؤَدَّى بِصِيغَةِ الْإِسْتِفْهَامِ: الْأَمْرُ⁶.

2- النہی:

يتحول الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى معاني النهي، يطلب الكف على الاستعلاء، ونهي المُخاطب عن أمر من الأمور؛ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: من الآية: 13] أي: إن الله - سبحانه وتعالى - نهانا عن خشيتهم وألا نخافهم.⁷

¹ - سيبويه، عمرو بن عثمان، (1408هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 3، ج 1، ص 343.

² - الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تح: أحمد النجاتي، محمد النجار، عبدالفتاح الشلبي، مصر، الدار المصرية، ط 1، ج 2، ص 229.

³ - ينظر: ابن فارس، (1977م)، الصاحي في فقه اللغة، تح: السيد صقر، دار إحياء الكتب العربية، ط1، ص 292-297.

⁴ - ينظر: نقلا عن أحمد الهاشمي، (2002م)، جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبدیع، تح: حسن حمد، دار الجيل، ص 65-66.

⁵ - ينظر: عمران، لغة الحديث النبوي وفق استراتيجيات الخطاب، ص 35-38.

⁶ - الشنقيطي، محمد الأمين، (1416هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر، ج 4/ص 234.

⁷ - ينظر، بوعدة، فتحية، الاستفهام في القرآن الكريم، ص 29.

3- الإنكار:

وتعد الهمزة من أكثر أدوات الاستفهام على بيان معنى الإنكار، ويأتي الإنكار عندما يكون الأمر المستفهم عنه مُنكَرًا، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۚ ۘ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ ۙ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 8-10] وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرْمُ أَحَدٌ﴾ [البلد: 7] وقد نجد مع الإنكار معنى التوبيخ والتقريع في قوله تعالى: ﴿أَيَنْ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: من الآية: 62]. وفي فتح القدير يفسر قول المولى -جل وعلا- على لسان موسى: "﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾" [يونس: من الآية: 77] على طريقة الاستفهام الإنكاري، والمعنى: أتقولون للحق لما جاءكم إن هذا لسحر مبين؟ وهو أبعد شيء من السحر. ثم أنكر عليهم وقرعهم ووبخهم فقال: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ فجاء موسى -عليه السلام- بإنكار بعد إنكار، وتوبيخ بعد توبيخ، وتجهيل بعد تجهيل¹.

4- التقرير:

وهو حمل المُخاطب على الإقرار بمضمون الاستفهام لغرض من الأغراض، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1] وقال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ﴾ [الفجر: 5] قال القرطبي: "هي على بابها من الاستفهام الذي معناه التثنية، كقولك: أَلَمْ أُنْعِمْ عَلَيْكَ، إِذَا كُنْتَ قَدْ أُنْعِمْتَ. وقيل: المراد بذلك التأكيد لما أقسم به وأقسم عليه. والمعنى: بل في ذلك مَنَعٌ لِذِي حِجْرِ. والجواب على هذا: إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ"². وقد يجتمع التقرير والوعيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: من الآية: 81]. وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ تُؤَبُّوهُ الْكَافِرُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: 36].

جاء في (لطائف الإشارات): "«هَلْ ...» استفهام يراد منه التقرير. ويقال: إذا رأوا أهل النار في النار يعدّون لا تأخذهم بهم رافة، ولا ترقّ لهم قلوبهم، بل يضحكون ويستهنئون ويعيرونهم"³.

5- السخرية والتهكم:

وهو إظهار عدم المبالاة بالمستهزأ به، وذلك بخروجه عن المعنى الحقيقي إلى هذا المعنى⁴، قال تعالى على لسان الكافرين: ﴿قَالُوا يُشْعَبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: من الآية: 87]

¹ - الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، (1414هـ)، دمشق، دار ابن كثير، ط 1، ج 2/ص 528.

² - القرطبي، أبو عبد الله محمد، (1384هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط 2، ج 20/ص 443.

³ - القشيري، عبد الكريم بن هوزان، لطائف الإشارات، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 3، ص 704، ج 3.

⁴ - ينظر: عتيق، عبد العزيز، المعاني، بيروت للطباعة، (1970م)، ص 101.

فقصده الكافرون السخرية من شعيب والتهكم عليه؛ لأنه كان كثير الصلاة، فقصدهوا باستفهامهم التهكم والسخرية منه لا السؤال والاستفهام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف: 34] ... والمعنى: التهكم بهم، والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعده الله ووعيده، وقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الصفافات: من الآية: 59]¹.

6- التعجب:

التعجب مستعمل في الخطاب القرآني بكثرة في القرآن الكريم ويراد به المبالغة أو الاستغراب أو الدهشة، وقد يكون لإظهار العجب والدهشة لعدم الاعتقاد عليه، قال تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: 5] وقال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: 20] والاستفهام هنا جاء بسبب عدم رؤية الهدهد، وبين صاحب الكشف هذا التعجب بقوله: ذكر الزمخشري في الكشف أنه لم ير الهدهد فظن أنه حاضر إلا أنه استتر بساتر عنه ثم تبين له أنه غائب².

7- التشويق:

ويقصد بالتشويق إذا قصد السائل تشويق المُخاطَب إلى أمر من الأمور، ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرَةِ تُنَجِّيْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10].

"غير أن التشويق بخاصة مع خضوعه للذوق الشخصي يعتمد على شيء من المنطق يقتضي أن يكون استفهام التشويق في جملة تامة مستقلة يجيء بعدها المشوق إليه في جملة أو جمل مستقلة أخرى، كي تتاح للنفس فرصة الانفعال والتشويق إلى ما سيأتي بعد، ... في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَتْكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خُشَعَةٌ﴾ [الغاشية: 1-2] وأيضاً في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَتْكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرَمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: 24-25]. ففي هذه الآيات جاء الاستفهام التشويقي في جملة تامة مستقلة، ثم جاء المشوق إليه بعد ذلك في جملة أو في جمل أخرى"³.

ففي الآيات السابقة تشويق وترغيب للمخاطب لمعرفة الجواب؛ لأنه يفكر ويتقرب وينتظر الجواب فيقع في نفسه موقعاً حسناً؛ لأنه كان مهيناً ومنتظراً الجواب بلهفة وشوق.

8- النفي:

¹ - ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، (1407هـ)، ج 4/ ص 313.

² - الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 3/ ص 355.

³ - مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الناشر موقع الجامعة، ج 18/ ص 454.

وقد كثر مجيء الاستفهام بهذا المعنى في الشعر. وأيضاً في القرآن قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: 60]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: من الآية: 3]. وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: 2].

قال الزجاج في تفسير الآية الأخيرة: "فجعل الاستفهام بمعنى النفي، فعلى هذا يجوز أن تكون نافية، ويكون المعنى على ما ذكر¹."

9- الاستدراج:

والاستدراج الانتقال بالمستدرج من أمر إلى أمر آخر بأسلوب لا يعلم أو يشعر به المستدرج، والغرض منه إقامة الحجة على المستدرج وإلزامه بالحجة، ودفعه إلى الجواب ليكون حجة عليه. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182].

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ - وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ - فَأَمَنْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: 10] وهذا استدراج لهم للوصول إلى الحق في درجات النظر فقد بادأهم بأن ما أحالوه من أن يكون رسولاً من عند الله ليس بمحال إذ لم يكن أول الناس جاء برسالة من الله².

قال الفراء: "وقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ - مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: 55] (ما) في موضع الذي، وليست بحرف واحد. وقوله: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ يقول: يحسبون أن ما نعطيهم في هذه الدنيا من الأموال والبنين أنا جعلناه لهم ثواباً. ثم قال: ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إنما هو استدراج منا لهم³."

10- التوبيخ والتفريع:

ويكون التوبيخ والتفريع إذا أراد السائل أن يعاقب المخاطب على شيء قد بدر منه في حين إن هذا التصرف لا يجب أن يفعله المخاطب؛ وذلك لردعه ولعدم تكرار هذا الفعل المشين مرة أخرى، أو أنه فات الأوان على هذا الأمر، أو لتوبيخه وتفريعه وعقابه نفسياً.

وفي فتح الرحمن، تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75]. قَالَ اللَّهُ: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ﴾ بنفسي من غير توسيط كآب وأم؟ واليدان صفة من صفات الله تعالى - عز وجل - نؤمن بها كما جاءت، ونكل العلم فيها إلى الله، ثم

¹ - الزجاج، إبراهيم بن السري، (1408هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط 1، ص 375، ج 5.

² - ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984م)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ج 26/ ص 10.

³ - الفراء، معاني القرآن، ج 2/ ص 238.

أدخلت همزة استفهام التوبيخ على همزة الوصل، فحذفت وبقيت مفتوحة، فقول: ﴿أَسْتَكَبَرْتَ﴾ عن السجود لآدم ؑ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ المتكبرين من غير استحقاق؟¹.

11- الاستبعاد:

يعد هذا الاستفهام مجازي يبين فيه المتكلم أمراً معيناً، مستحيلاً يصعب تصديقه، أو أن هذا الاستفهام غير متوقع الحدوث، ومن شواهد ذلك في قوله تعالى: ﴿أَتَى لَهُمُ الدَّكَرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: 13] وقد يجتمع الاستبعاد مع التعجب المجازي في قوله تعالى على لسان امرأة إبراهيم -عليه السلام-: ﴿قَالَتْ يَوَلَّىٰٓءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: من الآية: 72] فاستبعدت ولادتها، لأنها عجوز والولادة تكون لصغيرات السن فتعجبت من حدوث هذا الأمر واستبعدته. قال صاحب الكشاف: "قيل: بُشِرت ولها ثمان وتسعون سنة، وإبراهيم مائة وعشرون سنة إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ أن يولد ولد من هرمين، وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها الله. وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ؟ لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادة، فكان عليها أن تتوقر، ولا يزدهما ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة، وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب"².

وفي قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۚ ٢ أَعِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكْ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: 2-3] فاستبعد الكافرون البعث والحساب، وأنكروا حدوثه وعبروا عن ذلك الاستبعاد بالاستفهام. وفي التحرير والتنوير في تفسير الآية: "﴿أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: من الآية: 35] فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِعَادَةً لِكَلِمَةِ (أَنْتُمْ) الْأُولَى افْتَضَى إِعَادَتَهَا بَعْدَ مَا بَيَّنَّهَا وَبَيَّنَ خَبَرَهَا. وَتُفِيدُ إِعَادَتُهَا تَأْكِيدًا لِلْمُسْتَفْهِمِ عَنْهُ اسْتِفْهَامَ اسْتِبْعَادٍ تَأْكِيدًا لِاسْتِبْعَادِهِ. وَهَذَا تَأْوِيلُ الْجَزْمِيِّ وَالْمُبَرِّدِ"³.

12- الحسرة:

تكون الحسرة عندما يقصد السائل إظهار التحسر على أمر ما، ومن أمثلة الحسرة قول الخنساء وهي ترثي صخرأ⁴:

فيا لهفي عليه ولهف أُمي أصبح في الضريح وفيه يُمسي؟

فقد تحسرت عليه بواسطة الاستفهام في الشطر الثاني.

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْفُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: 31] هَذِهِ الْجُمْلَةُ بَيَانٌ لِّجُمْلَةٍ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: من الآية: 30] لِمَا فِيهَا مِنْ تَفْصِيلِ الْإِجْمَالِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ فَإِنَّ عَاقِبَةَ ذَلِكَ

¹ - المقدسي، مجير الدين بن محمد، (1430هـ)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تح: نور الدين طالب، دار النوادر، ط 1، ج 6/ص 46.

² - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 2/ص 411.

³ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18/ص 53.

⁴ - نقله الهاشمي، أحمد إبراهيم، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، بيروت، مؤسسة المعارف، ج 2/ص 141.

الِاسْتِهْزَاءِ بِالرُّسُولِ كَانَتْ هَلَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، فَعَدَمُ اعْتِبَارِ كُلِّ أُمَّةٍ كَذَبَتْ رُسُولَهَا بِعَاقِبَةِ الْمُكَذِّبِينَ قَبْلَهَا يُثِيرُ الْحَسْرَةَ عَلَيْهَا وَعَلَى نُظَرَائِهَا كَمَا أَثَارَهَا اسْتِهْزَاؤُهُمْ بِالرُّسُولِ وَقِلَّةُ التَّبَصُّرِ فِي دَعْوَتِهِ وَنَذَارَتِهِ وَدَلَالِ صِدْقِهِ".¹

13- التسوية:

تكون حين يقصد السائل إظهار التساوي بين أمرين، في قوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: 10].

قال الطبري: "فَلَمَّا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: 10] بِمَعْنَى التَّسْوِيَةِ، أَشْبَهَ ذَلِكَ الِاسْتِفْهَامَ إِذْ أَشْبَهَهُ فِي التَّسْوِيَةِ، وَقَدْ بَيَّنَّا الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَا: مُعْتَدِلٌ يَا مُحَمَّدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوتَكَ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهَا، وَكُتُمُوا بَيَانَ أَمْرِكَ لِلنَّاسِ بِأَنَّكَ رَسُولِي إِلَى خَلْقِي، وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا يَكْتُمُوا ذَلِكَ وَأَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ وَيُخْبِرُوهُمْ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ صِفَتَكَ فِي كُتْمِهِمْ: ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْحَقِّ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ".²

14- التعظيم والتفخيم:

قال عنه عبد العزيز عتيق: "وذلك بالخروج بالاستفهام عن معناه الأصلي واستخدامه في الدلالة على ما يتحلّى به المسؤول عنه من صفات حميدة كالكرم والشجاعة والسيادة والملك وما أشبه ذلك".³

ومن أمثلته في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: 1-3]، "الحاقه ابتداءً وَمَا ابْتِدَاءً ثَانٍ وَمَا بِمَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّعْظِيمُ والتعجب".⁴

وكذلك قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 1-3]، قال الزحيلي: "الاستفهام للتفخيم والتهويل".⁵

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 2].

ذكر الشوكاني: "هَذَا الِاسْتِفْهَامُ فِيهِ تَفْخِيمٌ لِشَأْنِهَا حَتَّى كَانَتْهَا خَارِجَةً عَنْ دِرَايَةِ الْخَلْقِ لَا

يَدْرِهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ"⁶، كما ذكر ابن عثيمين: "ما يدل عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم".⁷

¹ - التحرير والتنوير، ج 23/ ص 9.

² - الطبري، محمد بن جرير، (1422هـ)، تفسير الطبري، تح: عبد الله التركي، دار هجر، ط 1، ج 1/ ص 264.

³ المعاني، ص 95. علم =

- مكي، ابن أبي طالب، (1405هـ)، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 3، ج 2/ ص 753.

⁵ - الزحيلي، وهبة، (1411هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق، دار الفكر، ط 1، ج 30/ ص 376.

⁶ - الشوكاني، فتح القدير، ص 575، ج 5.

⁷ - العثيمين، محمد بن صالح، 1423هـ، تفسير العثيمين: جزء عم، الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ط 2، ص 274.

ومما ذكر آنفاً يتضح أن أسلوب الاستفهام له عدة أغراض ودلالات، وهذا التعدد في الأغراض والدلالات للاستفهام دليل على اجتماع الكثير من المعاني في الاستفهام الواحد، وعلى هذا الأسلوب يتوقف فهم دلالتها على عدة اعتبارات تدخل جميعها تحت مصطلح السياق.

4. الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأبرار.

أهم النتائج:

من خلال البحث المكتبي الذي أجراه الباحث، والذي ناقش من خلاله موضوعات جزئية تصبّ في موضوع البحث، والمتمثلة في: (الاستفهام في القرآن) "مقاربة تداولية".
توصّل الباحث إلى عدد من النتائج التي يمكن تلخيصها في الآتي:

- 1- يعد أسلوب الاستفهام من الأساليب اللغوية التي اعتمد عليها أسلوب القرآن، ويتضح ذلك في الدلالات والمعاني المقصودة في النص القرآني.
- 2- قد يكون أسلوب الاستفهام في القرآن استفهاماً حقيقياً، وقد يخرج عن الحقيقة إلى أغراض استفهام أخرى بلاغية أو تداولية.
- 3- يمتاز أسلوب الاستفهام بجمالية يضيفها إلى النصوص؛ فهو يظهر خبايا النفس؛ وذلك بإثارة الدهن عند المُخاطب.
- 4- استعمل القرآن أسلوب الاستفهام فكان متنوعاً حقيقياً ومجازياً، وذلك حسب ما يتطلبه الموقف الخطابي.
- 5- يعد أسلوب الاستفهام من الأساليب الإبلابية؛ لأنه يحوي طاقة حجاجية كبيرة، من إحياء وحث وتشويق وإثارة.

5. قائمة المراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- إحسان، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، ط 15.
- استيتية، سمير شريف، (2000م)، الشرط والاستفهام في أساليب العربية، إربد الأردن، الناشر سمير شريف.
- عبد الحميد، أحمد مختار، (1429هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، بيروت، عالم الكتب، ط 1.
- الزجاج، إبراهيم بن السري، (1408هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلي، بيروت، عالم الكتب، ط 1.
- الزحيلي، وهبة، (1411هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق، دار الفكر، ط 1.
- الزمخشري، محمود، (1407هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الزيات أحمد وآخرون، د.ت، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة، د.ط.
- سيوييه، عمرو بن قمبر، (1408هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مصر، مكتبة الخانجي، ط 3.
- الشنقيطي، محمد الأمين، (1416هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر.
- الشوكاني، محمد بن علي، (1414هـ)، فتح القدير، دمشق، دار ابن كثير، ط 1.
- الطبري، محمد بن جرير، (1422هـ)، تفسير الطبري، تح: عبد الله التركي، دار هجر، ط 1.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984م)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.
- عتيق، عبد العزيز، (1970م)، علم المعاني، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة، د. ط.
- العثيمين، محمد بن صالح، (1423هـ)، تفسير العثيمين: جزء عم، الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ط 2.
- علوي، حافظ إسماعيلي، (2010م)، الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديثة.
- العلوي، يحيى بن حمزة، (2002م)، الطراز، تح: عبد الحميد هنداي، المكتبة العصرية، ط 1.
- عوني، حامد، د.ت، المنهاج الواضح للبلاغة، مصر، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط.
- ابن فارس، (1977م)، الصحابي في فقه اللغة، تح: السيد صقر، دار إحياء الكتب العربية، ط 1.
- الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تح: أحمد النجاشي، محمد النجار، عبدالفتاح الشلي، مصر، الدار المصرية، ط 1.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد، (1384هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: البردوني أحمد ، أطفيش إبراهيم ، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط 2.

- القشيري ، عبد الكريم بن هوزان، لطائف الإشارات، تح: إبراهيم البسيوني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3.
- الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ت، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مجموعة من المؤلفين لم تذكرهم الشاملة، مصر، د.ط.
- المقدسي، مجير الدين بن محمد، (1430هـ)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تح: نور الدين طالب، دار النوادر، ط 1.
- مكي، ابن أبي طالب، (1405هـ)، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 3.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط 3.
- الهاشمي، أحمد إبراهيم، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، بيروت، المعارف.
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، (2002م)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: حسن حمد، دار الجيل.
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت، المكتبة العصرية.
- ابن يعيش، علي ابن يعيش، (1422هـ)، شرح المفصل للزمخشري، بيروت، دار الكتب العلمية.

الرسائل الجامعية والدوريات:

- بو عزة، فتحية، وأخرى، (2018م)، الاستفهام في القرآن الكريم، بحث ليسانس، كلية الآداب واللغات، جامعة مولاي سعيدة، الجزائر.
- عمران، رضوان عبد الكريم، (1916م)، لغة الحديث النبوي وفق استراتيجيات الخطاب، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن.
- بن فضة، فريدة، (2015م)، الاستفهام عند السكاكي دراسة تداولية، مجلة الممارسات اللغوية، العدد 32، جامعة مولودي معمري، تيزي وزو، الجزائر.
- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الناشر موقع الجامعة.
- مناهج جامعة المدينة العالمية، البلاغة والمعاني، كود LARB 4103.